المحاضرة رقم 04: التيّارات الجديدة في الآداب المعاصرة (01)

– السريالية–.

التيّارات الفكريّة المعاصرة غربية وافدة تتجسّد في صورة آراء ونظريّات، وهي نتاج عقول وأفكار فلاسفة ومفكّرين، يؤخذ منها ويُردّ عليها، وقد تعصف بثوابت المعقول والمنقول والمتواتر والمعلوم بالضرورة من كلّ اتّجاه فتغيّر مسار الفطرة المستقيمة فتخرقها أو تعطلها. أشهر هذه التيارات الغربيّة: السريالية، الوجودية، اللاّمعقول، الرواية الجديدة.

1– مفهوم السريالية:

اصطلاح فرنسي مؤلّف من لاحقة (Sur) وتعني فوق، وكلمة (Réalisme) وتعني الواقعية، وبهذا يصبح المعنى الحرفي هو فوق الواقعية، وهي حركة ثقافية في الفن الحديث والأدب تهدف إلى تفعيل العقل الباطن بصورة بعيدة عن المنطق وهي حسب منظّرها (أندريه بريتون André Breton): «آلية نفسية صافية يمكننا أن نعبّر بواسطتها إمّا كتابة وإمّا شفويا، وإمّا بأي طريقة أخرى عن سير عمل الفكر الحقيقي، وهي ما يمليه الفكر في غياب أيّة مراقبة يمارسها العقل، وخارج أي اهتمام جمالي أو أخلاقي»[1].

لقد قدمت تعاريف عديدة عن السريالية وكلّها تشير إلى أنّها الانفتاح على المجهول وعلى الماوراء والسعي إلى تحرير القوى اللاّشعورية المكبوتة أو المجهولة لدى الإنسان ونستطيع أن نقول: إنّها التّعامل النّفسي مع الأدب والفنّ، حيث تمرّدت على المذاهب الفنية كليّا وأنكرت الواقع تماما واعتبرته زائفا كلّ الزيف فتسامت عليه وشوّهت معالمه[2].

[1]– محمود أمهر، التيارات الفكرية المعاصرة، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2009، ص 265.

[2]– ينظر: سيّد حسن كوشكي، المدرسة السريالية ومبادئها (دراسة نقدية من رؤية إسلامية)، مجلة إضاءات نقدية، جامعة آزاد الاسلامية، ع 29، 2018، ص 49.

إذن هي مذهب حديث في الفنّ والأدب يهدف إلى التّعبير بالعقل الباطن مع ترك العملية الإبداعية قيد تصرّف اللاّشعور، حملت مواضع لم تكن مستوحاة من الواقع التقليدي في الأعمال الفنيّة، فهي تأخذ من الأحلام والذكريات والرّغبات المكبوتة، الجنون، الحب، المرأة والجنس والحياة الدّاخلية.

2- نشأة السريالية:

ظهرت السريالية بين سنوات 1919م إلى 1939م متخذة من باريس مركزاً لها، وتعتبر امتدادا لحركة دادا أو الدادائية (dadaisme)، وهي حركة متطرّفة فوضوية ظهرت عام 1916 في إحدى مقاهي سويسرا، حيث اجتمع مجموعة من الأدباء والفنانين برئاسة (تريستان تزارا Tristan Tzara)، وكانوا يقضون أمسيات صاخبة تهدف إلى تحطيم كلّ ما له علاقة بالتراث، بما في ذلك قواعد الفنّ الكلاسيكي، وكان (أندريه بروتون) مؤسس السريالية أحد الأعضاء المنتمين إلى الحركة الدادائية، ومن المتأثّرين بأفكارها، لهذا لا غرابة في استمراره على السبيل نفسه بعد تشتّت الدادائية، حيث أسّس رفقة صديقه (لويس آراغان) و(فليب سوبالت) مجلّة (Littérature) التي كانت لسان حال السريالية، وهكذا قاموا بنشر نصوص تترجم أحلامهم، وسرعان ما انتشر الفكر السريالي وتزايد عدد أنصاره، وترسخت أفكاره والتي تؤمن أنّ التعبير السريالي منهج أنجع للتغيّر الاجتماعي[1].

خرجت المجلة الرسمية الأولى للحركة (الثورة السريالية Révolution surréaliste) إلى النور عام 1924، ثم تلاها تأسيس مكتب الأبحاث السريالية (Bureau des recherches surréalistes)، ساهمت هاتين المجلتين في تطوّر الحركة السريالية التي انتشرت فيما بعد في مجالات عديدة كالسياسة والأدب والنحب والرسم والأنثروبولوجيا، وقد أقيم في باريس عام 1925 معرضا للفن السريالي الأوّل شارك فيه كلّ من بيكاسو وخوان ميرو وماكس إرنست.

[1]- ينظر: فاولي والاس، عصر السريالية، تر: سعيد خالدة، دار العودة، بيروت، لبنان، 1981، ص 13.

من أهمّ العوامل المؤثرة في تبلور هذه الحركة كانت الحرب العالمية الأولى، وما خلّفته من دمار وويلات على البشرية، فقد أدت إلى اهتزاز القيم عند الإنسان الأوروبي، وفقدان الثقة في الأنظمة السياسية والاجتماعية التي تتحمّل مسؤولية الواقع المؤلم الذي خلفته الحرب، فأخذ يبحث عن واقع آخر أكثر صدقا، ثم نظريات (فرويد) في التّحليل النفسي وما رافقها من اكتشاف لعالم اللاّشعور على اعتبار أنّه العالم الذي تندمج فيه الحقيقة بالوهم وتسقط سيطرة الوعي عن تفكير وسلوك المجانين[1].

وكان لانتشار أفكار الإلحاد والشيوعية في الفترة ما بين الحربين العالميتين، ودعوات التحلّل من القيم الاجتماعية أثر كبير في النزوح نحو السريالية، فعندما يعمّ الاضطراب والفوضى يصعب على الناس التفكير بالعقل، لذا فإنّ الأسس في المدرسة السريالية تتلخّص في «إسقاط القيم الجمالية والأخلاقية والأدبية والانتقال في العمل الفني من المعلوم الواضح إلى الغامض المشوّش»[2].